سمير يذهب الى باريس

— ١ —

أخي عَلِيٌّ :

لا أُرِيدُ أنْ أُعِيدَ عليك وصفَ رِحْلَتِي فى البَحْرِ فَيَكْفِي مَا حَدَّثْتُكَ به فى العام الماضِي عن رِحْلَتِي الى لَنْدَن ، ولٰكِنَّنِي أُرِيدُ فقط أنْ أُعَبِّرَ لك عن شُعُورِى حِينَ صَعِدْتُ إلَى الباخِرَةِ «النِّيلِ» .

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فى الباخِرَةِ التى أَقَلَّتْنِي إلَى لَنْدَنَ فِي العامِ المَاضِي غريبا عنِّى حَتَّى أَلْوَانُ الطَّعَامِ التى بأَيْدٍ مِصْرِيَّةٍ فى مَصَانِعَ مِصْرِيَّةٍ ، وفَوْقَ كُلِّ هذا ، فَقَدْ كَانَتِ الباخِرَةُ مُتَوَّجَةً بالعَلَمِ المِصْرِىِّ الأَخْضَرِ ذِى الهِلَالِ والنُّجومِ يَخْفُقُ فى أَعْلَى السَّارِيَةِ .

وَقَفْنَا « بِنَابُولِى» كَمَا فَعَلْنَا فى العامِ الماضى إلاَّ أَنَّهُ فى هذه المَرَّةِ لَمْ تَكُنِ المِينَاءُ ولا البَرُّ كَانَ ولا شَوَارِعُ المدينةِ ولاَ رَطَانَةُ الإيطَالِيِّينَ بالشَّىْءِ الغَرِيبِ لَدَىَّ ، بَلْ عَادَتْ إلَى ذَاكِرَتِى تَفَاصِيلَ

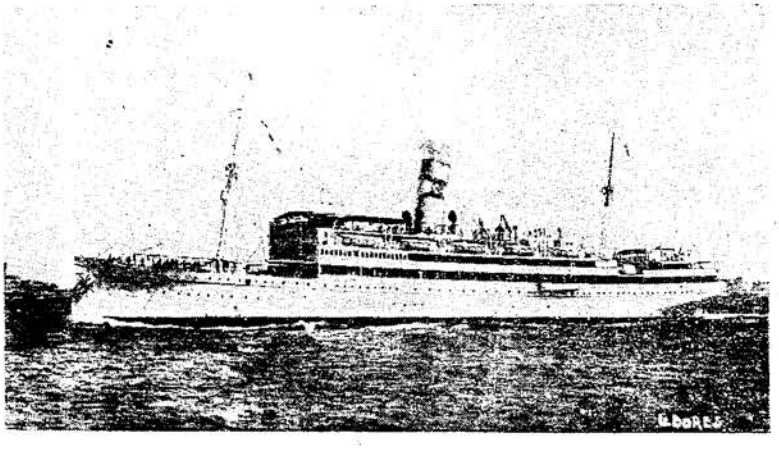

الباخرة النيل

كُنْتُ لا أَفْهَمُ لها مَعْنًى وَلاَ أَسْتَسِيغُ لها طَعْمًا . أَمَّا فى هذه المَرَّةِ فَقَدْ كَانَ كُلُّ ما يَقَعُ عليه البَصَرُ مِصْرِيًّا فالمُوَظَّفُونَ مِصْرِيُّونَ وأَلوانُ الطَّعَامِ مِصْرِيَّةٌ وَمَكْتُوبَةٌ بِلُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ وأَكْثَرُ الأَدَوَاتِ مَصْنُوعَةٌ زِيَارَتِى الأولَى ، فاخَذْتُ أَدُلُّ بعضَ المسافرينَ عَلَى بعضِ الجِهَاتِ ، وأَصِفُ لهم طَرِيقَ الوُصُولِ اليها، كَمَا يَفْعَلُ الأَدِلاَّءُ ... فاستَأْنَفْنَا السَّفَرَ إلَى مَرْسِلْيَا فَوَصَلْنَاها ظُهْرًا ونَزَلَ الرُّكَّابُ جَمِيعاً ، وانْتَشَرُوا فى

رَدْهَةِ « الْجُمْرُكِ » . وأُخِذَ الْمُفَتِّشُونَ فى فَحْصِ الْمَتَاعِ ، كَمَا حَصَلَ فى إِنْجِلْتِرَا فى الْعَامِ الْمَاضِى ، ولٰكِنْ فى كَثِيرٍ من الْجَلَبَةِ والْحَرَكَةِ والضَّوْضَاءِ .

وما كِدْنَا نَجْتَازُ بابَ (الْجُمْرُكِ) حتَّى سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى : « تَفَضَّلْ يا سَيِّدِى هُنَا » ، « حَمْداً للهِ عَلَى السَّلامَةِ » . كَانَ دَهَشِى عظيماً جدًّا أَنْ أَسْمَعَ فى مَرْسِيلْيَا الْفَرَنْسِيَّةِ سائِقَ سَيَّارَةٍ يُخَاطِبُنِى بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ فَصِيحٍ . لَمْ أَتَرَدَّدْ فى رُكُوبِ سَيَّارَةِ ذلك الفَرَنْسِىِّ الْمُتَمَصِّرِ الَّذِى أَخْبَرَنِى فِيما بَعْدُ أَنَّهُ قَضَى بِمِصْرَ عَشْرَ سَنَوَاتٍ . وَأَخَذَتِ السَّيَّارَةُ تَجُوبُ بنا أَطْرَافَ الْمَدِينَةِ ، وأَخَذَ سائِقُهَا يَشْرَحُ لنا باللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلَّ ما تَقَعُ عليه الأَنْظَارُ من أَبْنِيَةٍ وتَمَاثِيلَ وميَادِينَ ومُتَنَزَّهاتٍ . وقد لَفَتَ نظَرِى ، وهو يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً لطيفةً ويُشِيرُ بِيَدِهِ باهْتِمَامٍ شَدِيدٍ إِلَى شارِعٍ كُتِبَ عليه « شارِعُ السويس » ، وآخَرَ كُتِبَ عليه « شارِعُ بورسعيد » . وأَلْحَقَ أَنَّنِى شَعَرْتُ بِسُرُورٍ عظيمٍ لذلكَ ، وشَكَرْتُ فى نَفْسِى للفَرَنْسِيِّينَ حسنَ مُجَامَلَتِهِمْ .

وذَهَبْنا إِلَى الْمَحَطَّةِ لنأْخُذَ قِطَارَ الْمَسَاءِ إِلَى باريسَ . وكَانَ من غَرِيبِ ما رأَيتُ عَلَى الرَّصِيفِ مَرْكَبَاتٌ صغيرةٌ مُحَمَّلَةٌ بالوَسائِدِ والأَغْطِيَةِ الصُّوفِيَةِ (بطانيات) يُعْرِضُها أَصْحَابُها للإِيجَارِ فيدْفَعُ الْمُسَافِرُ

شارع كانبير — اكبر شوارع الحركة فى مرسيليا

أحد شوارع مرسيليا

أَجْرَ ما يشاءُ مِنْها — وهو أَجْرٌ زهيدٌ — ثُمَّ يأْخُذُها معه فى القِطَارِ فيَسْتَعْمِلُها فى رِحْلَتِهِ ، ثُمَّ يَتْرُكُها فى القِطَارِ ، وينْزِلُ حيْثُ يشاءُ .

وَتُجْمَعُ هذه الْوَسَائِدُ والأَغْطِيَةُ من الْمَحَطَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فَتُغْسَلُ وتُكْوَى ، ثُمَّ تُؤَجَّرُ لِلْمُسَافِرِينَ الْعَائِدِينَ إِلَى مَرْسِيلْيَا .

والْقِطَارُ الَّذِى يَسِيرُ بَيْنَ مَرْسِيلْيَا وباريسَ قِطَارٌ سَرِيعٌ جِدًّا ، لَمْ أَرْكَبْ فى حَيَاتِى مِثْلَهُ ،

وقد كَانَ يُخَيلُ إِلَيَّ فى بعضِ الاَحيانِ أَنَّ القِطارَ طائرٌ فى الهواءِ وأَن عَجلاتِه لا تَسْتَقِرُّ على القُضْبانِ حتَّى أَنَّنِي شَعَرْتُ بِشَىْءٍ منَ الدُّوَارِ ، مِنْ شِدَّةِ اهْتِزَازِ

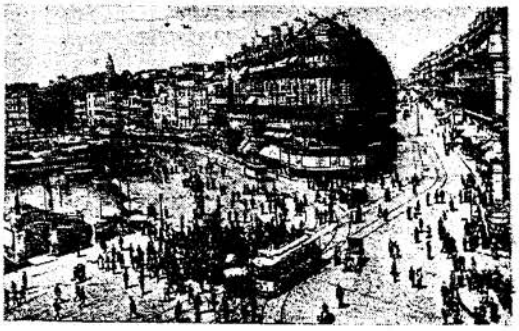

شارع الجمهورية

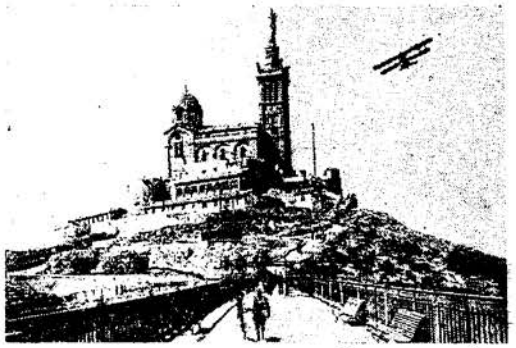

كنيسة نوتردام دى لاجارد — أشهر كنائس مرسيليا

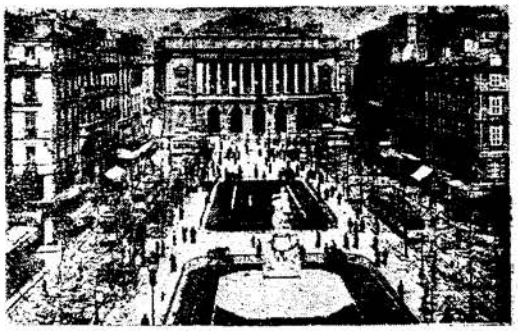

شارع البورصة فى مرسيليا

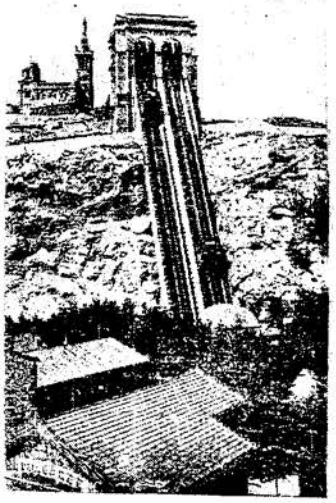

المصعد الموصل للكنيسه

جزء من شارع البحر(الكورنيش) فى مرسيليا

المَرْكَباتِ بسَبَبِ هذه السُّرْعةِ ذَكَّرَنِي بدُوارِ البَحرِ.

ولَمَّا أَقبلَ الليلُ أَخذَ أَغْلَبُ المسافرِينَ يَخْلَعونَ ثيابَهُمْ، ويرْتَدُونَ ملابسَ النَّوْمِ. ثُمَّ تَمَدَّدَ كُلٌّ منْهُمْ عَلَى مقْعَدِهِ، ووَضعَ الوِسادَةَ التِّي استأْجرَها تَحْتَ رَأْسِهِ وَتَدَثَّرَ بغِطائِهِ، وأَخذَ يَغِطُّ في نوْمٍ عَمِيقٍ. وهكَذَا لَمْ يَمْضِ غَيْرُ قليلٍ حتَّى أُطفِئَتِ الأَنوَارُ وبَدَا القِطارُ كأَنهُ مجموعةٌ من حُجُراتِ النَّوْمِ فى فندقٍ كبيرٍ يتحَرَّكُ.

وفعَلْنا كمَا فعَلَ الناسُ جميعاً، فنِمْتُ على مقْعَدٍ ونامَ والِدِى عَلَى المَقْعَدِ المقابِلِ. ولَمْ أَستَيْقِظْ إلاَّ فى السَّاعةِ السادسَةِ حينَ وقَفَ القِطارُ فى مَحطَّةٍ صَغِيرَةٍ قُبَيْلَ باريس. وكانَ عَلَى رَصِيفِ هذِهِ المَحطَّةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ منْ مَناضِدَ طَويلةٍ تُشْبِهُ كَثِيراً المَناضِدَ التِّى نأْكُلُ عليها فى مطْعَمِ المدرسةِ، وقدْ رُصَّتْ عَلَيْها جَمِيعُهَا أَقْداحُ الشاي والقَهْوَةِ وأَطباقٌ قد امْتَلأَتْ بأَنواعِ الشَّطائِرِ (سندوتش). والغَرِيبُ فى هذَا كُلِّهِ أَنهُ لَمْ تَمْضِ إلاَّ لَحْظَةٌ قَصِيرَةٌ، حتَّى كانتِ الأَقداحُ والشَّطائِرُ قد اخْتَفَتْ منْ فوقِ المَناضِدِ، وانْتَشَرَتْ فى أَيدِي المُسافِرِينَ، بَعْدَ أَنْ دَفَعَ كُلٌّ منْهُمْ ثمنَ ما أَخَذَ. وهكَذَا أَفْطَرَ المسافِرُونَ.

وتَحَرَّكَ القِطارُ وأَخَذَ الرُّكَّابُ يَرْتَدُونَ ملابِسَهُمْ ويُرَتِّبونَ مَتاعَهُمْ ويَسْتَعِدُّونَ لِلِقاءِ باريسَ. وفى تَمامِ الساعةِ الثَّامنةِ وقَفَ القِطارُ بِنَا فى المَحَطَّةِ المعروفةِ بمَحَطَّةِ الجَنُوبِ.

أخوك : سمير

الغراب المغرور

يحْكَى أَنَّ غُرَاباً كَانَ مُعْجَباً بِنَفْسِهِ، مُحِبّاً لِلزَّهْوِ والْغُرُورِ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِرِيشِهِ الأسْوَدِ الْفَاحِمِ. فالْتَقَطَ بَعْضاً من ريشِ الطَّاوُسِ الْمُلَوَّنِ، وَزَيَّنَ بِهِ ذَيْلَهُ. ثُمَّ ذَهَبَ يَتَبَخْتَرُ ويَتَمَايَلُ عُجْباً بَيْنَ الطَّوَاوِيسِ. فَسَخِرَتْ منه، وهَزَأَتْ به، وأَخَذَتْ تَنْقُرُهُ، وتُطَارِدُهُ حتَّى فَرَّ هارباً، وَعَادَ إلى قَوْمِهِ الغِرْبَانِ. ولكِنَّهَا هِيَ الْأُخْرَى نَفَرَتْ منه، وطَارَدَتْهُ، ولَمْ تَقْبَلْهُ فى عَشِيرَتِهَا

وأخذت تنقره وتطارده

وَهكَذَا أَصْبَحَ الدَّعِيُّ المِسْكِينُ لا إلى هؤُلاء ولا إلى هؤُلاء.